

أربعينية الكرامة

في مسقط رأسي ، اُشتهر عن النخلة وصف جميل مفاده : (النخلة يمكنك اقتلاعها من جذورها و إعادة غرسها حيثما شئت و ستدب الحياة فيها من جديد في المكان الجديد و تنبت و تاكل من ثمارها الطيبة باذن الله العلي العزيز ، الا أن النخلة تموت و هي واقفة عند قطع رأسها " . يا سبحان الله ، هذه الأوصاف الرائعة هي أوصاف تطابق بعض أوصاف أهل الكرامة و الفضل من بني آدم النجباء .

النخلة ، و الرأس ، العطاء ، و الكرامة ، كلمات يمكن إعادة صياغة نسيجها و رسم امور أنسانية نبيلة ذات علاقة من تلکم المفردات.

في مقتبل عمري المعرفي اتحت لي الفرصة بحمد الله و توفيقه لزيارة ضريح جسد الأمام السبط النبوي الحسين بن علي في كربلاء و مدفن رأسه الشريف في القاهرة. و كذلك التوفيق الالهي وقع في زيارة ضريح السيدة زينب (ع) ، حفيدة رسول الله ، في اطراف ضواحي دمشق و قلب القاهرة . طرحت تلکم الزيارات عدة اسئلة داخل نفسي فيما يتعلق بشأن المدفن الواقعي لرأس سيدنا الامام الحسين (ع) و كذلك السيدة العقيلة زينب . و بعد طول تأمل في عدة أقوال و كتب و أطروحات ، وصلت لنتيجه مفادها لاضر في وجود أكثر من مدفن في أكثر من بقعة لرأس الامام الحسين (ع) (بالخصوص لفداحة الظلم الذي وقع حينذاك و انتشار الخوف بين الناس من تتبع و توثيق اخبار ما بعد احداث فاجعة كربلاء يومذاك . و كما لا ضير لوجود شاهد رمزي لقبر الجندي المجهول في معظم الدول حول العالم ، كذلك الحال بانه لا ضير في وجود اكثر من مدفن رمزي لجندي الاسلام الخالد الامام الحسين . ففي تلکم الرمزية لتلکم المدافن ايقاد مستمر لجذوة الكرامة و التضحية و التمسك بالمبادئ و الحقوق و السعي الدؤوب في الذب عن حياض الكرامة .

مع تقادم سنين عمري و زيادة تحليل المشهد لعدة قضايا بقصد استنطاق الفائدة العملية و توظيفها ، وجدت ان هناك امر ما و هو امر يحزن ان يقع كثيرة من الارض لا سيما في منطقة الشرق الاوسط حيث منبع الديانات السماوية الابراهيمية ، اُستغلت بعض تلکم البقع و المدافن للترويج السياحي و التنشيط الاقتصادي و التجاري و جوفت بعضها من روح القيم و الرحمة و مشاهد ايواء الضعفاء و تكميد جراح المشردين و صون كرامة الانسان . فانتُزعت من بعض تلکم البقع روحانية غرس الممارسات النبيلة في مجال الكرامة و الاحترام و الرحمة و بُغض الظلم و محاربة الذل و عدم الاستكانة لاهل الفجور و

اُستبدلت مكانها حملات الترويج التجاري للسلع و الخدمات و مDAHنة اهل المال و مجارة اهل الرذ و المرح . و مع زيادة منسوب الزعم و الادعاء بوجود مدافن تاريخية لقبور الصالحين شمر بعض الباحثين عن سواعدهم في التنقيب عن صحة بعض تلكم الادعاءات لقطع الطريق على تجار العواطف و سماسرة العقار المجاور لتلكم المشاهد . و فعليا و ان لم ينجح الباحثون نجاح باهر الا انه لهم اجر المحاولة الجادة في استقصاء الامور و توضيح بعض مقاطع المشهد.

فيما يخص موضوع رأس الامام الحسين ، أعتبر ان نهضة الامام الحسين العملاقة أشبه بقضية واضحة الشواهد و المعالم الا انه أمتدت اليها بعض أيادي من منتحلي العلم و الواقع انهم فاشلون فافسدوا لونها و اذهبوا طعمها و حرفوا مقاصدها و تاجروا ببعض اجزاءها . فنسأل الله حسن الاطلاع و تجاوز الانزلاق و مراجعة الاداء و تصحيح الاخطاء . و من جهة اخرى ولو دققنا قليلا في المواقع الجغرافية المشهورة لمدفن رأس ابو الاحرار (ع) سواء النجف أو كربلاء بالعراق أو دمشق بسوريا أو عسقلان فلسطين أو القاهرة بمصر لوجدنا انها تشكل حزام و سياج مؤلمهم لانباء تلكم المناطق الجغرافية في مقارنة المستعمرين و المحتلين أن هم استثمروا الوجود الرمزي لذلك المدفن الشريف .

في الختام ، و نحن على اعتاب أربعينية استشهاد الامام الحسين عليه السلام فانا ادعو طامحا في أستنطاق هذه المناسبة العزيزة في رص الصفوف و وحدة الكلمة و عدم تكرار اخطاء الماضي و رفع مستوى التفكير النقدي الموضوعي و تلمس احتياج المعدمين و السعي لشد عزيمة المهمشين في العالم كله و حسن توجيه المناسبات الدينية لتكون دينمو حقيقي في صنع واقع افضل . و لكي يستمر اي عمل انساني كبير نابع من نهضة عملاقة فلا بد من تجديد الادوات المستخدمة تكتيكيا و بشكل جيد و لا بد من حسن الاستثمار الاستراتيجي لتلكم التكتيكات لكي يأتي مشروع تلكم النهضة اُكله كل حين و يسعد الجميع بالكرامة و تكسير اصنام الاذلال . و عكس ذلك الامر يعني انها جهود في عداد ادراج الرياح او تيه في ارض سيناء أو اندثار في صحراء قاحلة او مفاخرة عوراء حيث روح هذه او تلك النهضة فُرغت من محتواها فتُصبح مع تقادم الايام شبه كرنفال موسمي مكرر و باهت يحصد ثماره اهل المال و الاعمال و تجار العواطف و يبقى واقع اغلب الناس من مؤلم الى اكثر الما .